جامعة النهرين
كلية هندسة المعلومات
Daalghrawy610@gmail.com

أثر التركيب في تفسير النصّ الشّعري
(البارع البغدادي أنموذجاً)

دعاء فياض خشن
DUAA FAIADH KHASHEN

الملخص:

يتناول هذا البحث أثر التركيب النحوي في بيان فاعلية المعنى الشعري كما عرضنا له في نماذج من شعر البارع البغدادي، وقد كان تركيزنا خلال ذلك على الوقوف على أنماط الجملة الفعلية منها والاسمية، فقد تركّزت دراستنا في المبحث الأول على الجملة الفعلية وبيان أنماطها ودراسة دلالة هذه الأنماط فيما ينعكس على خصوصية الأسلوب الشعري لدى البارع البغدادي، وبيّن تفوّق الشاعر وتميزه في قدرته على اختيار التراكيب التي تُناسب طبيعة صوره الشعرية، كما تناولنا في المبحث الثاني خصائص الجملة الاسمية وعرضها خلال ذلك لأنماطها المتعددة وبيّنا الفارق الدلالي بين الجملتين الاسمية والفعلية كما ظهر واضحاً في شعر البارع البغدادي، وكثيراً ما كانت المخالفة لترتيب التركيب النحوي فيما يو افق الرتبة النحوية ما يخرج إلى دلالة معينة يهدف إلى إبرازها الشاعر بقصد منه خلال بيان سياقها الذي ترد فيه .

الكلمات المفتاحية: الجملة الفعلية، الجملة الاسمية، التركيب النحوي .

المقدّمة:

إذا كان الشعر صورةً لأفكار الشاعر يعبّر بها برصيد من التجارب مضيفاً إليه رصيداً من القراءات في الشعر، ولهذا فإنَّ الشعر معبّرٌ قويٌّ عن ثقافة العصر واللغة الأدبية لعصرٍ ما، ولهذا كان ديوان العرب، فالشعر له لغته الخاصة وطريقة بناء مختلفة عن الكلام العادي، لأنه يتطلب طريقة خاصة في التعبير معتمداً على عددٍ من العناصر كالعاطفة والخيال والذاكرة والموسيقى، ذلك أنَّ الشعر هو أنسب قالبٍ من قوالب الكلام للتعبير عن العاطفة، والقصيدة التي لا عاطفة فيها ليست بقصيدة ولو اتخذت شكل القصيدة.

و لأنَّ جوهر الشعر المخالفة، فالمباشرة السطحية تتنافى مع الشاعرية، فللشعر لغته الخاصة، وهي لغة مخالفة في بعض مظاهرها اللغة المعتادة، والعلماء يسمّون المخالفة ضرورةً، ولأنَّ المخالفة سمة الشعر، فكلُّ شاعرٍ يريد أن يترك بصمةً تميّز شعرهُ عن شعر غيره، إضافةً إلى تميّز لغته عن اللغة المنثورة.

ونظراً لأهمية الوقوف عند السياق للمفردة وعلاقتها بما يليها من المفردات الأخرى التي تعطي انطباعاً عن الرؤيا الشعرية التي ينضح به شعر الشاعر في أية تجربة يقدمها، لذلك فإنَّ القارئ قد يتساءل كيف انساقت الكلمات في تواردها بما يُسمَّى أو يشكّل التركيب، فالتركيب هو سبب الانبهار، لذلك فإنَّ دراسة التركيب النحوي ما يُساعد على تفسير مكامن النصّ الشعري، وهذا ما دفعنا حقيقة لاختيار هذا العنوان في هذه الورقة البحثية، والتطبيق على دراسة خصائص التركيب النحوي عند الشاعر البارع البغدادي ابو عبدالله الحسين بن محمد الشهير بالبارع الهروي البغدادي الشاعر المشهور والأديب القديم كان نحوياً لغوياً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الأدب ، و أفاد خلقاً كثيراً خصوصاً بإقراء القران الكريم (1) لنطلع على ما قدّمه في نظمه لأشعاره، وندرس من خلال ذلك خصائص الجملة المشكّلة للتركيب النحوي .

فإذا كانت المعاني تختلج في نفس الشاعر وتضطرب، ويشعر بتلك الرغبة الفطرية في المغايرة والخروج عن الأصل المتعارف عليه في وضع القاعدة المفسّرة لأساس التركيب النحوي، فكلّ مغايرة يسجلها نص الشاعر تقف على جملةٍ من الدلالات والمعاني التي يتلقاها المتلقي ويحفّز عندها مجمل خبراته لفكّ شفرات النصّ بما يتركه نصه من إشارات وعلامات يكون فيها التركيب النحوي هو السبيل لمعرفة كامل إيحاءاتها وعلاماتها، ولأنَّ دراسة التركيب النحوي يكسب المتلقي التجربة الشعرية ليرى فعل المغايرة الحقيقية فقد وقع اختيارنا على هذا العنوان، فالشاعر لا يتعامل مع المفردات من حيث كونها كلماتٌ مستقلةٌ، ولكن ينظر إليها ضمن تراكيبها التي تعطي انطباعاً كلياً عن تجربته الإبداعية.

المبحث الأوّل: الجملة الفعلية وأنماطها (البارع البغدادي أنموذجاً)

قبل أن نخوض في مفهوم الجملة و أنماطها والتطبيق عليها كما جاء في شعر البارع البغدادي، لا بُدَّ أن نشير إلى أهميّة البناء النحوي والتركيب النحوي في الكشف عن ماهية وأسرار النصّ الشعري، فهي أدوات تمكّن القارئ من التحليل العميق للنصّ الشعري، فقد حاول النحاة منذ القديم أن يكشفوا عن خصائص نظام التركيب في الشعر، وأن يبيّنوا ما بينها وبين تراكيب الكلام العادي من فروق، لذلك فقد ترك النُّحاة مجالاً في استخدام الشاعر للتراكيب النحوية، لأنهم على معرفة مسبقة بأنَّ الشاعر لا يستطيع أن يقوم شعرهُ على المطابقة التامّة، ومنه ما جاء عن ابن جني في تفسير هذا الخروج في قوله "فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها و انخراق الأصول بها، فليس بقاطع دليلاً على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته، فهو وإن كان ملوماً في عنقه وتهالكه، فإنّه مشهود له بشجاعته وفيض منته ... إدلالاً بقوة طبيعية، ودلالة على شهامة نفسه(2) ، فابن جني في هذا الكلام يُشير إلى أنّ الشاعر عندما ينظم قصيدته يكون على وعي تام بأنه سيفارق نظام اللغة العادية، وما ذلك ليبني نظاماً جديداً، بمعنى إنه يهدم ليبني كما شاع في النظرة الحديثة للتركيب الشعري.

ومن هنا كان السير نحو التطبيق الفعلي في بناء النحو لأمثلة واردة في الكتاب المقدس (القرآن الكريم) بالإضافة إلى ما جاء مثبتاً في الشعر العربي، لذلك كان الاجتهاد واضحاً عند المهتمين بهذا المجال، فوجدنا المحاولات الجادة في دراسة التركيب النحوي لتفسير النصّ الشعري أو بمعنى دراسة النحو بما يوضّح الإشارات والعلامات المحدّدة لدراسة النص الشعري وتفسيره من خلال ذلك، ومن ناحية أخرى كان انتباه النحويين إلى مسألة (الاتساع) والضرورة الشعرية، لأنَّ النحاة قد وجدوا أنّ مفهوم الاتساع واسع التفصيل في استخدام الشعراء، "والشعراء أمراء الكلام يصرّفونه أنّى شاؤوا، ويجوز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق للمعنى وتقييده، ومدّ المقصور وقصر الممدود، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه و إيضاحه، يقربون البعيد، ويبعدون القريب، ويُحتج بهم ولا يُحتج عليهم"(3) .

ومن ذلك الفهم للاتساع أنَّ الشاعر يجوز له من الكلام ما ليس لغيره، لا لأنّه يضطرُّ إليه بل لأنه يريد فعل الاتساع في مسالك اللغة بما يضمن حيوتها ويحافظ على خصوصيتها في الوقت نفسه، فهذه الحقيقة كان النقاد أكثر من انتبه

إليها وعدوّها من حق الشاعر في تشكيل إبداعه، ومنه "فإذا وقع مثلها (الضرورة الشعرية) في الشعر لم يُنسب إلى قائله عجز ولا تقصير كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده، من ذلك يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعاً"(4).

ونظراً لمفهوم الاتّساع والضرورة الشعرية فقد شاع في الآونة الأخيرة ما يُسمَّى بـ (الانزياح) فقد شكّل هذا المصطلح المركز الأساسي في التشكيل للدراسات النحوية التي انتهجت مهمة تفسير النصّ الشعري، فكانت قد لاقت تقسيماتٍ كثيرة و أنماطاً متعددةً كلها منبثقةٌ من المفهوم وما يقوم عليه في أساسه، فالانزياح "كل تصرّفٍ لمستعملي اللغة في هياكل دلالاتها، أو أشكال تركيبها بما يخرجها عن المألوف، فينتقل الكلام بموجبه من السمة الإخبارية إلى السمة الشعرية(5) .

وهذا هو السبب الرئيسي في انتهاج ظاهرة الانزياح، لأنَّ ما يفعله الشاعر من الخرق والمغايرة يتطابق تماماً مع معطيات الانزياح في ما يشكّله داخل التركيب النحوي من المغايرة بين علاقات الإسناد والحذف والتبديل والتقديم والتأخير والاستبدال وغيره من الظواهر التي تؤدي معنى العدول أو الانزياح اللغوي-النحوي.

وفي هذا المجال، لا بُدَّ من التعريف بمفهوم الجملة الفعلية، فقد شاع في التعريف التقليدي للجملة الفعلية في التراث "أنَّ نعتبر بما تصدّر الجملة، إن فعلاً فعلية، وإلا فهي اسمية(6)" .

على أنه إذا كان هناك تقديم وتأخير فقد يكون الأفضلية لأن تكون الجملة فعلية لا اسمية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في نحو قوله تعالى: {ففريقاً كذبتم وفريقاً تقاتلون}(7) ، فهذه الجملة فعلية لأنَّ حق التقدّم فيها للفعل، وما يهمّنا هو التركيز على مكوّنات الجملة الفعلية، إذ يعدُّ (الفعل) أبرز هذه المكونات، فقد عرّفت الأفعال "أمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"(8) .

والفارق بين الاسم والفعل هو أنَّ الأسماء قبل الأفعال، بمعنى أنَّ الأسماء تستغني عن الأفعال، في حين إنَّ الفعل لا يستغني عن الاسم، "فالفعل في كلِّ تركيبٍ إذا بحثت عنه عرفته بسيماهُ، دالّاً على الحدث، قابلاً لدخول قد، السين، سوف، تاء التأنيث الساكنة"(9) .

والفعل لا بدَّ أن يكون أحد أمرين "حدث تعبّر عنه الحروف الأصلية الثلاثة، وزمن تدلُّ على صيغة الفعل"(10) ، وقد يكون الفعل المشكّل للجملة الفعلية لازماً أو متعدياً، فقد أفاد سيبويه أنَّ الأفعال "جميعها متعدّيةً، لأنَّ الفعل الذي يتعدّى الفاعل، يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه، لأنّه إنما يذكر ليدل على الحدث، ألا ترى: قولك قد ذهب، بمنزلة قولك قد كان منه ذهاب(11)" .

ومن أمثلة الفعل اللازم ما جاء في قول البارع البغدادي :

صدّ عني وليس أول خلٍّ راعَ قلبي منه بهجرٍ وصدٍّ (12)

وقوله أيضاً:

أبى الشوقُ إلا أنَّ قلبي لذكركم يُقلقِله بين الضلوع وجيبُ (13)

فكما نلاحظ أنَّ الفعلين الواردين في قول الشاعر لازمان (صدَّ، أبى) فقد اكتفَيا بذكر الفاعل، لأنَّ الشاعر لا يريد إظهار غير الفاعل في سياق الحديث عن الفعل، لانهما فسرا ما جاء بعدهما من معنى صد الاخلة وهجرهم وشوقه اليهم وما يسببه هذه الشوق من خفقان واضطراب ورجفة في القلب، وقد يكون الفعل متعدياً لأكثر من مفعولٍ بما يستدعيه الفعل لإتمام المعنى في سياقه، ومنه قول الشاعر:

وكأني أراك بالأمس كالمجنون تطفو على محبة حمدِ

أتر اني لم أقضِ حقّكَ بالإسعاف في ما وقعت فيه بجهدي (14)

ففي حضور الفعلان (أراك، تر اني) ما يستدعي النظر إلى المفاعيل، فالفعلان يتعديان إلى أكثر من مفعول واحد، فلا يستقيم المعنى دون إتمام المفاعيل التي يستحقها الفعل المتعدي، إن كانت المفاعيل صريحة أو تحتاج إلى تأويلها بما هو غير صريح يدلُّ عليها وينوب عنها في مكانها

وكأن الشاعر جاء بالتعدي ليفصل هجاء الخصم ويبين ضعفه ويظهر فضله عليه ، وإذا تناولنا (الفعل) كركيزةٍ

أساسيةٍ لبناء الجملة الفعلية، فإنَّ الفاعل لا يقلُّ شأناً، لأنَّ الفعل يلازم فاعله الذي يقرره ويؤكّد نوع حدوثه، وهو مرفوع دائماً، "إذا حدثت عن شيء أنّه فعل فعلاً ما، وقدمت فعله قبله، فارفع ذلك الشيء لأنّه فاعل"(15) ، كما أنَّ الفاعل هو كل اسمٍ صريحٍ أو مقدّر يلزم عملية الإسناد إلى فعله، "فيكون الفاعل اسم أو ما في تأويله، أُسند إليه فعل تام أوما في تأويله، مقدّم أصلي المحل والصيغة" (16).

ذلك أنَّ مجيء الفاعل في الجملة لا يختلف عليه أحد، سواء أكان صريحاً أو مضمراً، وأكثر ما يكون إضماره في تقديره الضمير المستتر العائد إلى ذكره الذي يدلّ عليه في سياق الجملة.

ومن مثال الفاعل بشكله الصريح قول الشاعر:

علا الشيب فاستولى على الهزل جَدُّهُ و أقمر في داجٍ من الغيّ رشدهُ

لقد سلَّ منك الشيبُ أبيض صارماً على مفرقٍ يسعى بحتفي فرنده(17)

فالفاعل في البيتين السابقين جاء صريحاً (اسماً ظاهراً) في قول الشاعر (الشيبُ، الشيبُ)، وإذا نظرنا إلى الدلالة النحوية لتشكيل الفاعل في المثالين، وجدنا أنَّ طبيعة التعبير الشعري تقتضي أن يكون الفاعل اسماً ظاهراً، ولا يمكن أن يكون مقدراً، أي مستتراً، فيحدث اللبس حينها ويخرج المعنى إلى الغموض، فلو قال الشاعر (علا فاستولى)، ولو قال (سلّ منك أبيض) لحار المتلقي في ماهية الفاعل وإلى ماذا يعود الفعل في قيام فاعله، ولأنَّ سياق الحديث عن (الشيب) فإنَّ في ذكر الفاعل ضرورةٌ مؤكدةٌ تقتضي الذكر ولا تحتمل حذفه في سياقه، وعلى الخلاف من ذلك فقد يكون حذفه أبلغ دلالة من ذكره وذلك للاختصار وتقوية المعنى وعدم التكرار، ومن مثال حذف الفاعل قول الشاعر:

جزى الله نصراً عن كنانة خير ما جزى سيداً للحمد يشربه صمده

أنافَ بها فخراً على النجم و ابتنى لها شرفاً يبقى وذلك وكدُهُ

أقام بثغرِ الشام يحميه بالقنا وقد فغرَتْ أفواهها فيه ربدُهُ

فشادَ منار الدين بالعدل والهدى وسدّ الذي أعيا على الخلق سدّهُ

وساس به اللهُ الأمورَ فأصبحت شوامعها واستنفنا الهزلَ جدُّهُ (18)

نحن أمام عدّة دلالات يخرج إليها إضمار الفاعل وإظهاره، فكما ذكرنا أن عدم ذكره في مواضع قد يؤدي إلى الخلط واللبس، فيكون ذكره ضروري ولازم، ومنه قول الشاعر (جزى الله نصراً)، ففي ذكره ما أفاد في إسناد الفاعل إلى فعله (جزى الله)، فالله عزَّ و جل هو الذي يجزي، ليكون هذا الجزاء من الله لـ (نصراً)، ليكون إضمار الفاعل في قوله (أناف بها فخراً)، (أقام بثغر)، (فشاد منار الدين)، فالفاعل معروف ولا ضرورة لذكره لأنه منذ بداية القصيدة يترك الحديث عن عز الدولة (نصر)، لذلك فإنَّ ذكره لا يلبي أية غاية بلاغية أو دلالية، بل إنَّ في الضمير العائد إلى ذكره ما هو أبلغ في سياقه، وذلك لتجنب التكرار من جهة وتقوية المعنى من جهة أخرى، ولكيلا يقع اللبس عاد الشاعر إلى ذكر الفاعل في قوله (وساسَ به الله الأمور)، لأنّ الفعل (ساسَ) مسند إلى لفظ الجلالة (الله)، وهذا من الواجب ذكره، فلا يستطيع في أيّة حالة أن يحذف الفاعل، فحذفه ضربٌ من الخلط وهذا لا يجوز كما نلاحظ، فالشاعر هو أكثر قدرة على التمييز بين ما يجب ذكره وتثبيته وما يمكن حذفه في كل الدلالات التي يمكن أن يخرج إليها.

ومن الأشكال النمطية للجملة الفعلية ما يصعب تقديره وذلك إذا نظرنا إلى قواعد اللغة المختصة بالجمل الفعلية من تعجب وحذف وتعد في الأفعال ولزوم وتقديم وتأخير، ومن أكثر أنماطها شيوعاً ما يكون في الجملة المكونة من الفعل والمرفوع وتسمى حينها بالجملة البسيطة وهي " المكونة من مركبٍ إسنادي واحد و يؤدي فكرة مستقلة" (19)، بمعنى أنَّ الجملة الفعلية البسيطة تتألف من الفعل اللازم والفاعل وسمي لازماً لأنّه يلتزم فاعلهُ ولا يتعدّاه إلى المفعول به"

ومن شواهدها قول الشاعر:

لقد تطاولْتَ علينا بأن لبستَ ألواناً من الملبسِ (20)

هذه الجملة الفعليةُ (تطاولت) تُعدُّ مركباً إسنادياً تؤدي فكرةً مستقلةً، وهي مركبةٌ من فعلٍ لازمٍ (تطاول) الذي اكتفى بفاعله وهو الضمير المتصل الذي أحدث الحدث، والتركيب الفعلي هنا يدل على التجدد والتحويل، لا يدلُّ على

الثبات والاستقرار.

ومن أنماط الجملة الفعلية (الفعل، المرفوع، المكملات)، والمعنى من هذا النمط أنَّ الفعل لازماً كان أو متعدياً، فإنهما يشتركان في التعدي إلى أربعة أشياء وهي "المصدر، الظرف من الزمان، الظرف من المكان، الحال"(21) . بينما ينفرد المتعدي في الوصول إلى المفعول به دون اللازم الذي يكتفي بفاعله، وهذه العناصر اللغوية التي يتعدى إليها الفعل اللازم تُسمى بـ (المكملات) وتتعلق بالمسند أو المسند إليه، وهذا من شأنه أن يطيل بناء الجملة النحوية، "وقد أُطلق على هذا النوع مصطلح الجملة الممتدة، وهي الجملة المكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية"(22) .

وهذا النوع من الجمل يشغلُ مساحةً في تعبير الشاعر و من مثاله قوله:

عادَ سوادُ لِمَّتي من الفراق أبيضا (23)

فالنسيج اللغوي لهذا النمط التركيبي يعطينا جملة ممتدة أو موسّعة قائمة على فكرةٍ إسناديةٍ واحدةٍ جعلها تنضوي تحت إطار الجملة الفعلية الممتدة أو الموسعة، فالمسند (عاد) فعل لازم يدلُّ على إحداث العودة من (السواد) الفاعل الظاهر (المسند إليه) ، والمكملات في قوله (لمتي من الفراق أبيضا) قد عملت هذه العناصر الإسنادية على إطالة بناء الجملة وتوسيعها، فالمضاف في قوله (لمتي)، والجار والمجرور (من الفراق)، والحال في قوله (أبيضا) كلها مكملات قد بينت هيئة المسند إليه (سواد)، وكذلك جعلت بنية الجملة أكثر طولاً، والهدف من ذلك إيصال المعاني للقارئ أو السامع الا وهي الخيبة والألم بسبب الفراق، ومنه أيضاً قوله:

لا يعلق الذمُّ بأثو ابه إن حاسدٌ يوماً به عرّضا(24)

فقد تألفت الجملة الفعلية من عنصري الإسناد الأساسين وهما المسند (يعلق)، والمسند إليه (الذمُّ)، ولكن توسّعت بنية الجملة بسبب تعلّق شبه الجملة (بأثو ابه) بالمسند (يعلق) وهذه الإطالة أكسبت الجملة دلالة إضافية تبين من خلالها بماذا يتعلّق الذمّ (بأثو ابه) بمعنى قد أوضح المكمل (الجار والمجرور) معنى التعليق للذم في كونه متعلقاً بالأثواب .

ومن نمط الجملة الفعلية أن تأتي مؤلفة من (الفعل، الفاعل، المفعول به)، ومن مثاله قول الشاعر:

إن ذكر الناسُ بيوتَ العلى والمجد في الغابر او ما مضى

بيتٌ تولّى اللهُ إعلاءه ما يرفع اللهُ فلن يُخفضا

كأنما يدعوه داعي الندى إلى اكتساب الحسنات أنهضا(25)

إنَّ هذه الأبيات تمثل صوراً مختلفة لتركيب الفعل المتعدي في شعر البارع البغدادي، فالتركيب الجملي في البيت الأول جاء ضمن الأصل والترتيب الطبيعي دون مخالفة الرتبة النحوية للجملة الفعلية (ذكر الناسُ بيوت) وكذلك في البيت الثاني (تولّى الله إعلاءه)، وفي البيت الثالث لقد تقدم المفعول به في قوله (يدعوه) بحضور الضمير المتصل (الهاء)، وجاء الفاعل بعده اسماً ظاهراً (داعي)، ولطبيعة السياق ما أدى إلى تقديم المفعول به على الفاعل، وقد يتقدم المفعول به على الفاعل لأسباب كثيرة وأكثرها ما يكون في أنَّ الشاعر لا يريد أن يلقي أهمية إلى ذكر الفاعل فيؤخره، إذ تكون الحاجة حينها في تقديم المفعول به على الفاعل.

ومن أنماط الجملة الفعلية (الفعل، المكملات، الفاعل)، إذ تكون المكملات هي الفاصلة بين المسند والمسند إليه، بما يكون لها من الدلالة الواضحة للفصل بينهما، ومن مثال هذا النمط قول الشاعر:

إذا خبا منه شهابٌ بدا في أفقه بدرٌ، فضاءَ الغضا (26)

فكما نلاحظ إنَّ للتركيب النحوي ما تمّ فيه الفصل بين المسند و المسند إليه (خبا منه شهاب)، (بدا في أفقه بدرٌ)، وإذا دققنا الدلالة التي يتركها الفصل بشبه الجملة (منه، في أفقه) نلاحظ أنهما يعودان على ذكر (بيت) في البيت الذي يسبقه.

في قول الشاعر:

بيتٌ تولّى الله إعلاءَهُ ما يرفع الله فلن يخفضا (27)

لذلك فإنَّ في الفصل بالمكمّل (الجار والمجرور) ما يناسب طبيعة التعبير الشعري ويتناسب مع سياق ما هو مذكور في البيت الذي يسبقه، وهذا يؤكد من ناحية أخرى دور التركيب النحوي بما يطرأ عليه من مخالفة للرتبة النحوية مع مقتضى الحالة الشعرية التي يريد الشاعر التعبير عنها فيما يقدمه أو يؤخره.

ومنه قول الشاعر في التدليل على ما هو مهم في سياقه:

نقابةٌ خصَّ بها اللهُ من تخيّر المجدَ لها وارتضى(28)

فقد فصل (المكمّل) الجار والمجرور بين المسند والمسند إليه، لأنَّ تعليق شبه الجملة ضروري وعائد على ذكر (النقابة) فلو قال الشاعر (نقابةٌ خصَّ الله بها) لما أفاد تفسير وتوضيح المراد بقوله (النقابة) التي خصَّ الله بها من تخيّر وأراد المجد مكاناً.

ومن أنماط الجملة الفعلية (المكملات، الفعل، المرفوع)، ومثال كبير في شعر البارع، وكأنه بذلك يريد التقديم أو التمهيد قبل أن يبدأ بالجملة الفعلية، ومنه قوله:

من بعد حَجّي ونُسكي عاودتُ لهوي وقصفي

ومن سُرى البيد ضُميه بين فُرشٍ ولُحفِ(29)

فالتقديم في قوله لشبه الجملة ما يفيد في تعزيز أهمية الفكرة التي يوردها الشاعر من خلال ذلك، فلو قدّم الفعل على المكمّل (الجار والمجرور) في البيتين (من بعد حجي، ومن سرى البيد) لما فهمنا المغزى من الكلام، لأنَّ المسند أي الفعل في قوله (عاودت) لا يُفهم ولا يمكن تفسيره ما لم نقع على معنى المقدّم (من بعد حجي)، لأنَّ إتمام الحج والنسك ما يلزم لتأكيد فعل العودة، وبذلك التقديم واجب في سياقه، وإن كان يخالف أصل الرتبة النحوية، فكما ذكرنا الشاعر لا يقدم شيئاً في أصل التركيب النحوي إلا لغاية دلالية بلاغية واضحة، وفي قوله (و من سرى البيد) ما يوضح آلية الضم في الفعل المسند (ضُميّه) ليكون تفسيرها بأنها حاصلة (بين فرش ولحف)، ففعل الضم حاصل بعد بيان المكان المحدد الذي سيتم فيه الفعل، كما أنَّ لتقديم المكملات في الأبيات السابقة ما يعطي انطباعاً جمالياً في سياق الكلام وتتابع المفردة تلو الأخرى، وإن كانت المغايرة للرتبة حاصلة، فإنَّ المتلقي يتوق للمغايرة ويرتقب المعنى الحاصل من اختلال الترتيب الطبيعي للتركيب النحوي.

ومنه أيضاً قوله :

ففي الجفون وفي ثني القلوب نرى من وَدقِها أدمُعاً من بَرْقِها شُعلا(30)

ففي تقديم شبه الجملة في قول الشاعر (ففي الجفون وفي ثني القلوب) ما يلفت إلى أنَّ الأهمية ليست للابتداء بالفعل، بل إنَّ المعوّل عليه هو التركيز على (الجفون، القلوب) والتي فسّرت حقيقة الإمطار في البيت الذي يسبق هذا الكلام في قول الشاعر:

غمائمٌ أمطرتْ غمّاً على فرقٍ كرامِ قومٍ و أبكى صوبُها المُقلا (31)

ذلك أنَّ فعل الرؤية حاصل لا بُدَّ، والتركيز على العيون لأنها أول من ينتبه إلى ما تحدثه الغمائم عند إمطارها، وإن كانت القلوب لا ترى ذلك، فإنها تلمس ذلك وتشعر به، لذلك فإنَّ تقديم الحسي والمعنوي قد أدّى الغاية التي يريدها الشاعر من إخلال ترتيب الجملة .

كما أنَّ الحديث عن أنماط الجملة الفعلية تتطلب الحديث عن أزمان الجملة الفعلية والتي تشكل أنماط الجملة من وجهة أخرى، ولا سيما إذا كان الأسلوب الذي يُعرف به الشاعر هو توظيف لإمكانات النحو، "ومن ثمة إذا كان الشعر فناً لغوياً، فإنَّ النحو حينئذ يشكّل أحد الابنية الأساسية التي يعتمد عليها في تفسيره، ولذا فإنَّ التركيب اللغوي للعبارة الشعرية يشكّل مدخلاً ضرورياً لدراسة النص والوقوف على أسراره، ثم دلالاته المحتواة" (32).

ومن أنماط الجملة الفعلية ما يكون فعلها ماض، فإذا كانت اللحمة الأساسية التي تتكون منها كل جملة هو التركيز

على عنصري الإسناد (المسند)، (المسند إليه) فالجملة تقوم بذلك على علاقة الإسناد وعناصرها (الفعل والفاعل).

وما يميز الجملة الفعلية هو كونها ترتد إلى الزمن الماضي، وذلك بفعلها الذي يدلّ على الحدث بمادته وعلى الزمان بشكله، وإذا كان الماضي هو ما دلَّ على معنى قد وُجد في الزمان الماضي، وهذا ما يفسّر بناء الفعل الماضي، "ويركّز على معنى الفاعلية والمفعولية والإضافة، والأصل في الأفعال البناء، لأنه مستغن عن الإعراب لأنَّ كل واحد من معاني الأفعال صيغة بإزائه، ولا يعرض له معنى يوجب تغيير لفظه"(33) .

ومن مثال الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي قول الشاعر:

إني رأيت الدهرَ في صرفه يمنحُ حظّ العاقلِ الجاهلا

وما أراني نائلاً ثروةً أظنّه يحسبني عاقلا (34)

إنَّ ما يُلاحظ على تركيب الجملة الفعلية في البيتين السابقين أنَّ الشاعر قد استخدم صيغتين مختلفتين للفعل (رأى)، فقد جاء في البيت الأول في قوله (رأيت الدهر)، من الفعل (رأى) وهو دال على الحدث وزمانه للماضي و انقضائه فيما مضى منذ زمن وتحقق بذلك، و في البيت الثاني لم يكرر صيغة الفعل الماضي، بل أورد صيغة (أرى)، فلكل صيغة معناها الذي يختلف عن الأخرى، فالأولى قد تكون برؤية القلب والثانية تشكّل الرؤية الحقيقية، فالاختلاف الدلالي للفعلين يتعلق بالغاية التي يريدها الشاعر، وإلا كان قد أوردهما بالصيغة نفسها، وان كان كلٌّ من الفعلين يشير إلى فعل الرؤية.

و من استخدام الشاعر للجملة الفعلية للفعل الماضي الرباعي قوله :

فأعجبها ذاك من قولهن وقالت: كذلك ظني بكُنَّا

و أينعَ في الخدّ وَردُ الحياء فشارفَ بالنظر الحلو يُجنى(35)

فقد وقع النحاة على أنَّ الهمزة في الفعل على وزن (أفعل) لها دلالات ومعاني، "فهمزة أفعل إن بلغت معانيها واحداً وعشرين دلالة ومعنى، كما أنها دالة على التصيير، أي صار أو تحوّل إلى" (36)

المعنى من ذلك إنَّ لاستخدام الشاعر صيغتي (أفعل) في الفعلين (أعجب)، (أينع) ما يفيد من خلال الهمزة الداخلة على الفعل إلى معنى التحول، والمتتبع لسياق البيت الذي يسبق البيت الأول يُلاحظ أنَّ الفعل (أعجب) كان نتيجة لاستدراك أمر الإجابة عن السؤال في قول الشاعر:

فقالت، أتسعدننا في الهوى وتلأ من ما بيننا؟ قلن : إنا (37)

وهذا ما أكده الفعل الماضي (أعجبها)، وكذلك فإنَّ الفعل (أينع) دلَّ على أنَّ الورد قد حان إزهاره وأصبح مرسوماً على الخد، وبذلك كان نتيجة الإعجاب الذي دل عليه الترابط بين البيت الأول والثاني .

و من أنماط الجملة الفعلية التي تقع على معانٍ محددة ما كان فيها فعلها مضارع، وما يميّز حضور فعل المضارع أنَّ "مشترك بين الحال والاستقبال، فصار شائعاً ثم يختص لأحدهما بدخول اللام والسين وسوف، كما أنَّ اسم الجنس شائع في أمته، ثم يختص بعينه بدخول لام العهد"(38) ، وقد وجد الدارسون أنَّ "الماضي مرتبط بمرجعية الزمن، بينما المضارع يرتبط بمرجعية المشابهة، أما الأمر فهو يعني الطلب وهو لا يكون إلا في المستقبل، أي أنَّ الدلالة في لقب الأمر التزامية وليست مطابقية، كما في لقب الماضي"(39) .

و كثيراً ما يكون دلالة المضارع للحال والاستقبال متجاوزة الدلالة على الزمن الحاضر الآني، ففي قول الشاعر السابق (أتسعدننا)، جاء تركيب الجملة الفعلية بصيغة المضارع مقترناً بالاستفهام، فإنَّ الاستفهام الحاضر في الهمزة ما نقل الجملة خلالها من دائرة المعنى الخبري إلى المعنى الاستفهامي الذي هو إنشائي وتغيّر مضمونها من معنى يحصل، إلى معنى يستفسر عن حصوله، و بذلك فإنَّ الشاعر قد أراد حيوية الفعل المضارع إلى جانب ما يُحدثه الاستفهام من شحن الكلام بطاقة انفعالية تتجاوز الخبر الذي يدلّ على الثبات والاستقرار إلى ما يُشير إليه الإنشاء من طاقة الانفعال والحركة الواضحتين، وقد يكون حضور المضارع بصيغة النفي مما يريد الشاعر الإشارة إلى حقيقة نفيه، ومنه قوله :

لا تحسبي النومَ مذ أوشكت أطلبه إلا رجاءَ خيالٍ منك يؤنسني(40)

فلم يُنلني أبداً رفده ولم أكد أسلمُ من جهه (41)

ففي المثال الأول جاء الفعل المضارع بصيغة النهي والجزم، فالشاعر أراد تقرير الأمر من خلال دلالتي النهي من جهة، و الجزم الملازم لها من جهة أخرى لتقوية المعنى في قوله (لا تحسبي النوم) وما ذلك إلا للإشارة إلى عدم تمكنه من النوم، فلو أورد النهي دون الجزم لما استقام المعنى بالوجهة التي أرادها، وبالنظر إلى الرتبة النحوية، فإننا نجد أنَّ التركيب النحوي قد أدّى إلى جانب الدلالة نحوية قائمة على معنى الفعل (حسب) الذي يتعدى بمعناه إلى مفعولين أولهما حاضر في الضمير (ياء المتكلم) والثاني في لفظة (النومَ)، وفي المثال الثاني كان الجزم نتيجة منطقية لما جاء يسبق هذا القول من أنه قد أفنى ماء وجهه في البحث والسؤال، فكان الجزم بقوله (لم ينلني أبداً رفده) نتيجة منطقية لآلية البحث عما يريده، وذلك في قوله الذي يسبق هذا الجزم:

أفنيْتُ ماء الوجه من طول ما أسأل من لا ماء في وجهه
أنهي إليه شرح حالي الذي يا ليتني متُّ ولم أنهه (42)

المبحث الثاني: الجملة الاسمية وأنماطها

إذا نظرنا إلى الدلالة التي تؤديها الجملة الاسمية وجدنا أنها مغايرة لدلالة الجملة الفعلية، "فإنَّ لدلالة الجملة الاسمية على الثبات والاستقرار، ودلالة الفعلية على التجدد والدوام، وإذا كان فعلاً، فإنه يدلُّ على الحدوث، وإذا كان الخبر اسماً فإنه يدلُّ على الثبوت"(43) .

وبما إننا بصدد الحديث عن الجملة الاسمية، فإنها ما اشتمل على مبتدأ و خبر، و أيضاً قائمة على علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، "و الابتداء يختصُّ به الاسم، ويعني ما تقدم ذكره من أنَّ الفعل لا يكون مبتدأ، و إنما لم يجز فيه أن يكون مبتدأ لأجل أنه خبر، و المبتدأ من شأنه أن يكون مخبراً عنه "(44) .

وبالنظر إلى الجملة الاسمية في علاقة الإسناد القائمة بين المبتدأ والخبر، وجدنا أنَّ المبتدأ هو ما جاء في بداية الكلام، والخبر إنما لتعيين الفائدة، فإذا كانت الفائدة تقتضي تعدد الخبر إلى أكثر من خبر واحد كان ذلك واجب الذكر، فالفائدة تتجاوز ما يتم الابتداء به، لأنَّ المتلقي ينتظر ما يأتي بعد الابتداء.

ومن أنماط الجملة الاسمية ما يكون في الجملة الاسمية البسيطة، "وهي الجملة القائمة على ركني الإسناد وحدهما دون عناصر إضافية تكون قيداً على الإسناد أو موسعة لأحد عنصريه، ولها ثلاثة أنماط هي حالة الترتيب المعتاد لركن الإسناد " (45)

ومن مثال هذا النمط ما يكون في علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر كونهما (اسم واسم)، أو قد يكون اسماً ووصفاً أو اسماً وجار ومجرور أو ظرف، ومثال هذا النمط قول الشاعر:

هو الصاحبُ الصدرُ الذي في زمانه غدا كابن عبّادٍ أُلوفاً أفاضِلُه
وتوقيعهُ العالي من العدلِ فاغتدى يضيء به في مشرقِ العدلِ آفِلُه(46)

ففي قول الشاعر (هو الصاحبُ الصدر) جملة اسمية مكونة من المبتدأ والخبر، وقد جاء مطابقاً لأصل الرتبة، بمعنى قد جاء المبتدأ معرفة وهو ما أصله أن يكون على الابتداء، والخبر (الصاحبُ)، وكذلك جاء مطابقاً في البيت الثاني للوصف الحاصل لـ (توقيعه)، ولأنَّ الشاعر يتحدث عن فكرة عابرة، فلا يريد أن يحذف أو يقدم ويؤخر أو يخالف الرتبة لسبب من الأسباب، بل إنه يتحدث ونفسه هادئة ليست منفعلة، لذلك فالتطابق النحوي مع المعنى الدلالي واضح، فلا تجاوز ولا خروج عن حدود الجملة الاسمية في إسنادها وتراتبيتها.

وقد تكون الجملة الاسمية البسيطة ممّا يشذ عن الابتداء بها، بمعنى قد يأتي المبتدأ نكرة، والأصل أن يكون معرفة، إلا أنَّ النحاة جوّزوا أن يصح الابتداء بالنكرة وذلك وفق شروط محددة وضعوها لكيلا يحدث اللبس في هذه المسألة،

ومثال الابتداء بالنكرة قول الشاعر:

كلُّ غصنٍ مالَ جانبه فكأن الغصنَ سكرانُ

لي غدير من مُقَبَّله ومن الصدغينِ بستانُ (47)

ففي قول الشاعر (كلُّ غصنٍ مال) ما تم فيه الابتداء بالنكرة، وقد سُمح بذلك لأنَّ النكرة إذا أُضيفت صحَّ الابتداء بها أو إذا كانت موصوفة وسواها مما يُسمح الابتداء به بالنكرة، "فالرو ابط بين المبتدأ والخبر المساعدة للعلاقة الإسنادية ومنها التعيين في المبتدأ، أي أن يكون معرفاً، فإن لم يكن، فنكرة مخصصة، أو هو في حكمها حتى تحصل الفائدة في الإخبار، لأنَّ الإخبار حكم، ولا يُحكم على مجهول"(48) .

كما أننا نلاحظ أنَّ الشاعر قد خالف الرتبة للجملة الاسمية في تقديم شبه الجملة (من الصدغين) على المبتدأ بستانُ، ذلك أنَّ تقديم شبه الجملة أبلغ من تأخيره، ليكون ذكر (غدير، الصدغين) مما يعود على البستان في ذكره، فالتقديم لا يأتي لمجرد التقديم و إنما لأنَّ الشاعر لا يستطيع أن يؤجله أو لا يحتمل معناه التأجيل، وقد يكون المبتدأ غير صريح في الجملة الاسمية بمعنى قد يكون مؤولاً بالصريح ومنه ما يأتي مجروراً على اللفظ بحرف الجر(ربّ) على أنه مرفوع على المحل، ومثاله قول الشاعر:

ربّ ليلٍ بتناه وجهي إلى وجهك .....

ونهارٍ سرنا وكتفي إلى كتفك نختالُ في حصونِ المُردِ (49)

والملاحظ على الجملة الاسمية في قوله (ربّ ليلٍ بتناه) أنَّ المبتدأ مجرور بحرف الجر الز ائد (ربّ) إلا أنَّ دلالة الابتداء قد بقيت للمبتدأ بدليل الجر على المحل دون اللفظ، ولعلَّ لجوء الشاعر إلى استخدام هذه الصيغة لأنَّ الأداة (ربّ) تفيد التكثير من الدلالة على شيء، وكأنَّ الشاعر لا يريد أن يقول (ليلٌ بتناه) وذلك لإشارة إلى أنَّ هذا الليل الذي يعيشه يتكرر كثيراً وهو ليس واحداً، وكذلك ما جاء في قوله (ونهار) ما يؤكد على تكرار النهار الذي يعيشه بشكل مضاعف، فالناحية النحوية تتقاطع على الناحية الدلالية، فالجملة الشعرية هي الجملة التي يوظّفها الشاعر ويُضفي عليها قدراً من المرونة، كي تستوعب دفقتهم الشعرية.

و من أنماط الجملة الاسمية ما يكون منعكساً في الجملة الاسمية المنفية، ومثالها قول الشاعر:

ليسَ هجرنُا عَجَبٌ بل رضاهُ أعجبه(50)

فحضور الأداة ليس ما يشير إلى أكثر من وظيفة، فهي مؤدية لمعنى النفي للجملة الاسمية والتي تقتضي أن تكون في سبيل الإثبات، إلا أنَّ دخول (ليس) نفس الحكم لإثباتها، وبما أنَّ الشاعر يتحدث عن القلب العاشق، فإنه لا بدَّ أن ينفي أن يكون الهجر عجيباً، بل إنَّ وقوعه، حاصل وليس عجيباً، ومن ناحية الدلالة النحوية فإنَّ ليس "من أخوات كان، تدخل على الجملة المطلقة فتقيدها، وتنسخ الحكم الإعر ابي للمبتدأ والخبر، فترفع الأول وتنصب الثاني، فيلحقان بها اسماً وخبراً" (51)

ومن الجملة الاسمية المنفية ما يكون في (لا) النافية عمل (إنَّ)، وقد قدمها النحاة على أنها "هي التي تدلُّ على نفي الحكم أو نفي الخبر عن جنس اسمها، نفياً على سبيل التنصيص، أي بغير احتمال لأكثر معنى، ويسميها البعض (لا التبرئة)، لأنها تدلُّ على تبرئة جنس اسمها كله من معنى الخبر" . (52)

ومن مثال النفي بالجملة الاسمية في (لا) النافية للجنس العاملة عمل (إنَّ) فهي مؤدية معنى النسخ من جهة ومعنى النفي من جهة ثانية، فقد جاء في قول الشاعر البارع البغدادي:

فلا طرفَ إلا نحو نُعماه طامحٌ ولا قلبَ إلا كامنٌ فيه ودُّهُ (53)

فقد أفادت (لا) نفي الجملة الاسمية في قوله (فلا طرفٌ... طامحٌ)، كما أنها أفادت معنى التوكيد من خلال الحصر في قول الشاعر باستخدام الأداة (إلا) فقد قصر الطرف على هذه الفكرة كما يُعبّر عنها في قوله، "وإذا كانت إنَّ، وأنَّ تفيدان التوكيد، فإنَّ (لا) في نفيها للجنس تفيد التوكيد، لأنَّ نفي الجنس توكيد للمعنى" (54)

ومن أنماط الجملة الاسمية ما سُمي بالجملة الاسمية المنسوخة المقيدة، ومن مثال التقييد بالنسخ قول الشاعر:

كأن كفانَ الدّجى أحدقت ببدرٍ، جلت شمألٌ منه دَجنا
كأن قلائدها والشُّفوفَ يرين بـ(وَجْرَةَ) ظبياً أغنّا (55)

فما يميّز استخدام الأداة (كأن) باعتبارها حرفاً ناسخاً أنها تُفيد الإشارة إلى النسخ والتوكيد من جهة، وتؤدي معنى التشبيه من جهة ثانية أيضاً، ففي البيتين السابقين يؤكد الشاعر قوله في الحديث عن المدح، فيلجأ إلى توكيد الجملة الاسمية بالحرف الناسخ، إلا أنه في المثالين لم يجعل خبرها اسماً ظاهراً، بل يستدل عليه على المحل والتقدير، فقد جاء الخبر في كلا المثالين جملة فعلية هي التي سدّت مسدّ الخبر، وذلك لأنها ما يقتضيه طبيعة التعبير في سياقه، والتقدير في الأول (كأن كفانَ الدجى حادقة) وفي الثانية (كأن قلائدها - رائيةٌ)، إلا أنّ الأبلغ هو الإخبار عنها بالجملة الفعلية، كما أنَّ لـ (كأن)، "جمالها المتمثل في رصانة ايقاعها، علاوة على أنها مركبة من عنصرين اثنين الكاف وأداة التوكيد، فـ (كأن) ليست أداة للتشبيه فحسب، ولا أداة للتوكيد فحسب، ولكنهما إياهما معاً"(56)

ولتكرار الأداة (كأن) ما يقرُّ في النفس أهمية ما يعوّل عليه الشاعر من غرض التشبيه البارز في المثالين، إلى جانب تركيزه على تركيب الجملة الاسمية وتوكيدها بما يقرُّ أهمية التشبيه في نفس السامع لها .

وهي أيضاً عاملة، إذ إنها تنصب الاسم (كفان، قلائدها)، بمعنى إنَّ لها العلاقة الإسنادية، "وليس لها من أثر في نظام الجملة، وإن يكن لها أثر في الحالة الإعرابية للمسند إليه دون مساس بوظيفتها الإسنادية في الجملة، فهو يرد معها منصوباً بعد أن كان قبل دخولها مرفوعاً" (57)

ومن التوكيد بالحرف الناسخ (إنَّ) قول الشاعر:

لو أنَّ قلبي من صفاةٍ صلدهٍ لانصدعا (58)

توصف الجملة الاسمية في التركيب (أن قلبي لانصدعا) بأنها موسّعة كون الخبر في قوله (لانصدعا) يفسّر سبب التأخير، فقد فصل الجار والمجرور والإضافة بين الاسم والخبر وأخّر الخبر لتوسيع الجملة بما يفسّر دلالة الكلام المضاف في سياق التوكيد بـ (إنَّ)، وفي دخول اللام على الخبر ما يزيد التوكيد مرة أخرى .

وقد يكون الخبر للحرف الناسخ جملة فعلية، فكون الجملة الاسمية كبرى، ومن مثالها قول الشاعر:

إني رأيتُ الدّهرَ في صرفِهِ يمنحُ حظّ العاقلِ الجاهلا (59)

لقد جاءت الجملة الاسمية المؤكدة بـ (إنَّ) كبرى، لأنَّ المسند فيها جملة فعلية، و جاء اسمها ضميراً متصلاً (ياء المتكلم)، ومثل هذا الضرب من التوكيد يُعطي لمن عنده شك في الخبر، بمعنى (إنَّ) الحرف الناسخ قد أدّى وظيفة نحوية إلى جانب الوظيفة الدلالية المتمثلة في المعنى الذي يريد الشاعر من خلال أن ينفي عنه الشك ويؤكد وثوقية الخبر في قوله (إني رأيتُ الدّهرَ).

ومن مخالفة الرتبة للجملة الاسمية ما يكون في الحذف، حذف المبتدأ أو الخبر، إلا أنَّ في حذف الخبر ما يكون على تقديره، فالحذف يُعتبر من أبرز العوارض في الكلام، فلا تكاد معلومة تخلو منه جملة من الجمل والحذف يكثر استخدامه، "والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف أضربها أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، ولا يجوز بوجه ولا سبب" (60)

ومن أمثلة الحذف في الجملة الاسمية ما يكون في حذف المبتدأ أو الخبر، فالمبتدأ والخبر يشكلان جملة مفيدة، لذلك لا بدَّ من وجودهما، وقد يحذف المسند إليه (المبتدأ) في الجملة الاسمية، وفي مثال حذفه قول الشاعر:

ظبي أباحَ دمي وأسهر ناظري من نَسْلِ تُركٍ من ظباءِ طرازِ(61)

فالمحذوف يُستدل عليه من السياق، والتقدير في قول الشاعر (هو ظبي)، فالشاعر يخرج من مجرد التقرير والإخباء إلى التحريك والإيحاء ليصور ما فعلته به المحبوبة ، "والحذف قوة دافعة لا بدَّ من افتراضها، ويحرّك الكلمات من وراء ستار، يُحدد لها مساراً، ويحميها من الحركة في كل اتجاه"(62) .

ومن مثال حذف المسند إليه، فكثيراً ما يكون الحذف (المسند إليه) لأن الشاعر لا يجد حاجة في ذكره، ومنه قول الشاعر:

غمائمٌ أمطرتْ غمّاً على فرقٍ كرامِ قومٍ و أبكى صوبُها المُقلا (63)

والتقدير (هي غمائم)، فالشاعر وجد حاجته في الاخبار مباشرة ووصف الغمائم في قوله (غمائم أمطرت)، فكثيراً ما يكون الحذف أبلغ من الذكر، لذلك يؤدي غاية فنية جمالية تكسب الجملة الاسمية هذه الخاصية شأنها في ذلك شأن ما يكسبها إياها التقديم والتأخير، فكل خروج عن أصل القاعدة يُعد انزياحاً أو عدولاً يلجا إليه الشاعر لتشكيل صوره الشعرية بما يتناسب مع طبيعة التجربة، ولكن دون أن يشذ عمّا هو متعارف عليه في البناء النحوي، فكما نلاحظ إنَّ الشاعر يلجأ إلى البناء النحوي لتفسير جملة المعاني والدلالات التي يريد ان يضمنها في صوره الشعرية بكل ما ترمز إليه وتحمله في إيحاءاتها المتنوعة . وقد يكون الحذف في المسند في تشكيل الجملة الاسمية، أي يُحذف الخبر إذا لم تتم الفائدة فيه، ومن مثال حذف الخبر ما يكون بعد (لولا)، وهنا حذف الخبر واجب، ومن مثاله ما جاء في قول الشاعر:

لولا الأسى، نُحْتُ فأخرسْتُ الحمام السُّجَّعا (64)

فقد حُذف خبر (لولا)، وتقديره في سياقه (لولا الأسى موجودٌ)، فقد فسّر النحاة أنَّ حذف الخبر في (لولا) "أنَّ (لو) إذا دخلت عليها (لا) كان الاسم الذي بعدها مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف وجوباً لا يجوز إظهاره لطول الكلام بـ (لولا)، وبالاسم المرفوع بعدها، وبجواب (لولا) الذي لا يتم معناها إلا به، والكلام عند طوله يسوغ فيه الحذف" (65).

وفي قول الشاعر (لولا الأسى) لا يجد الشاعر حاجة إلى ذكر الخبر، لأنه لا يريد الاطالة فيه بل مغزاه ما بعده من وصف حالة النوح و إنه إذا ناح أسكت صوت الحمام ونوحها وهديلها، والتقدير (لولا الأسى موجود)، إلا أنّ سياق الكلام لا يقتضي ذكر الخبر، وقد يكون حذف الخبر على تقدير محل الجملة ولا سيما في خبر الأحرف المشبهة بالفعل أو في خبر الأفعال الناقصة، ومنه قول الشاعر:

ليتَ الفراقَ لم يكن يومَ دعا فأسمعا

بل ليتني صممتُ عن حادي المطي مسمعا (66)

فحذف الخبر في كلا المثالين يُعطي دلالة إلى تقدير الخبر على أنَّ الجملة الفعلية (لم يكن، صممت) تنوب عنه على التقدير، وعدم إيراد الخبر وجعله مؤولاً أو مقدّراً ما يوسّع سياق الجملة الاسمية ليصور حالة الفراق بصورة مفصلة ومؤلمة ، لأنَّ الجملة الفعلية كبرى.

فكل مغايرة للترتيب النحوي يؤدي إلى معنى محدد يريده الشاعر في قدرته على اختيار السياق الذي يناسب طبيعة قوله الشعري، والذي يعكس أسلوبه الخاص في تنظيم المفردات وترتيبها ضمن تراكيبها الجملية الفعلية منها والاسمية.

الخاتمة:

1 - ان للجملة الفعلية دلالات متنوّعة، تختلف كل دلالة حسب السياق الذي ترد فيه، و تصف خلاله طبيعة التركيب في المو افقة النحوية أو بما يُعرف الانزياح عن أصل القاعدة.

2 - أنماط الجملة الفعلية متعددة كثيرة، وأدواتها المعبّرة عن هذه الأنماط متعددة، وقدرة الشاعر تظهر في انتقائه لأداة دون غيرها في سياقها.

3 - الكلام النظري في بيان أهمية الدور الذي يقدمه التركيب النحوي لا يفسّر ماهية الفاعلية الشعرية، بل إنَّ التطبيق الفعلي على الشعر المنظوم هو الذي يُدلي بهذه الأهمية ويبين خصائص الأسلوب إلى جانب ذلك.

4 - إنَّ هذه الدراسة تبيّن الطريقة التي يقول فيها الشاعر شعره، لأنَّ الانطلاق من دراسة الوظائف النحوية هي التي تكشف عن تميز الشاعر في الطريقة التي يبدعها وتميزه عن غيره .

5 - إنَّ التركيز على التركيب النحوي يُعطي انطباعاً شاملاً عن الأسلوب الذي ينتهجه الشاعر في صياغة المعاني من خلال قدرته على المغايرة القائمة في الربط غير المألوف بين المفردة و الأخرى ضمن التركيب الواحد.

6 - الشاعر البارع البغدادي ذو ملكة لغوية قوية، وسلوكه النحوي دليل على فهمه للغة وتذوّقه لتراكيبها ومعانيها، ووعيه بالفرق المعنوي والدلالي بين أساليبها المختلفة .

الهوامش

1. ينظر: ديوان البارع البغدادي، جمع وتحقيق: هلال ناجي، اتحاد منشورات العر اقيين، دار الهلال، دمشق للطباعة والنشر، د. ت، ص35-39.
2. الخصائص، ابن جني، تحقيق : محمد النجار، المكتبة العلمية، ط2، د. ت، 392/2.
3. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد خوجة، تونس، 1966، ص 143.
4. العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده، ابن رشيق القيرو اني، تحقيق : محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، 1981، 93/2.
5. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط3، د.ت، ص 159.
6. الجملة الفعلية، علي ابو المكارم، مؤسسة المختار، ط1، 2009، ص 29.
7. سورة البقرة، الآية 87.
8. الكتاب، سيبويه، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، 1991، 57/1.
9. الدرة النحوية في شرح الأجرومية، محمد الهاشمي، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 2006، ص 28.
10. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2000، ص 61.
11. الكتاب، سيبويه، 34/1.
12. ديوان البارع البغدادي ، ص 40 .
13. المصدر السابق نفسه، ص 44.
14. المصدر السابق نفسه، ص 48.
15. النحو العربي، أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، محمد عبادة، مكتبة الآداب، ط1، 2009، ص 272.
16. كشف النقاب عن مخدرات ملحة الإعراب، الفاكهي، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، مكتبة الإرشاد، ط1، 2009، ص 109.
17. ديوان البارع البغدادي، ص 49-48.
18. المصدر السابق نفسه، ص 50.
19. الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، عبادة إبراهيم، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت، ص 153.
20. الكتاب، سيبويه، 33/1.
21. ديوان البارع البغدادي، ص 55.
22. كتاب الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : فخر الدين قباوة، مؤسسة الهالة، بيروت، 1985، ص 27.
23. الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، د.ت، ص 153.
24. ديوان البارع البغدادي، ص 56.
25. المصدر السابق نفسه، ص 59.
26. المصدر السابق نفسه، ص ن.
27. المصدر السابق نفسه، ص ن.
28. المصدر السابق نفسه، ص ن.
29. المصدر السابق نفسه، ص 60.
30. المصدر السابق نفسه، ص 66-65.
31. المصدر السابق نفسه، ص 68.
32. المصدر السابق نفسه، ص ن.
33. الجملة الفعلية في شعر محمد الباهلي، دراسة أسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، د. ت، ص 36.
34. شرح المراح في التصريف، بدر الدين العيني، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2007، ص 68.
35. ديوان البارع البغدادي، ص 68.
36. المصدر السابق نفسه، ص 73.
37. تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد محسن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، ص 78.
38. ديوان البارع البغدادي، ص 72.
39. شرح المراح في التصريف، بدر الدين العيني، تحقيق : عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2007، ص 58.
40. المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، دار النور للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 48.
41. ديوان البارع البغدادي، ص 76 .

42. المصدر السابق نفسه ، ص 77 .
43. ديوان البارع البغدادي ، ص 77 .
44. دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، محمود عبد الله شكر، دار دجلة، ط1، عمان، 2009، ص 56.
45. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : كاظم المرجان، دار الرشيد، 1986، 223/1.
46. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص 92.
47. ديوان البارع البغدادي، ص 70.
48. المصدر السابق نفسه، ص ن.
49. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، ص 68.
50. ديوان البارع البغدادي، ص 47.
51. المصدر السابق نفسه، ص 46.
52. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، ص 87.
53. قواعد اللغة العربية، مبارك مبارك، دار الكتاب العالمي، ط2، بيروت، 1998، ص 17.
54. ديوان البارع البغدادي، ص 50.
55. ما بين المعجم والدلالة، الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 64.
56. ديوان البارع البغدادي، ص 72.
57. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، ص 108.
58. النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، بيروت، د. ت، ص 226.
59. ديوان البارع البغدادي، ص 63.
60. المصدر السابق نفسه، ص 86.
61. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق : محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، 77/2.
62. ديوان البارع البغدادي، ص 54.
63. النقد العربي، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت، 2000، ص 26.
64. ديوان البارع البغدادي، ص 68.
65. المصدر السابق نفسه، ص 62.
66. أعجب العجب في شرح لامية العرب، الزمخشري، تحقيق : محمد القاضي، د. ت، ص 64.
67. ديوان البارع البغدادي، ص 63.

المصادر

- القرآن الكريم
1. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط3، د.ت .
2. أعجب العجب في شرح لامية العرب، الزمخشري، تحقيق : محمد القاضي، د.ت.
3. تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد محسن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
4. الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، د.ت.
5. الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، عبادة إبراهيم، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت.
6. الجملة الفعلية في شعر محمد الباهلي، دراسة أسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، د. ت.
7. الجملة الفعلية، علي ابو المكارم، مؤسسة المختار، ط1، 2009.
8. الخصائص، ابن جني، تحقيق : محمد النجار، المكتبة العلمية، ط2، د. ت.
9. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2000.
10. الدرة النحوية في شرح الأجرومية، محمد الهاشمي، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 2006.
11. دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، محمود عبد الله شكر، دار دجلة، ط1، عمان، 2009.
12. ديوان البارع البغدادي، جمع وتحقيق: هلال ناجي، اتحاد منشورات العر اقيين، دار الهلال، دمشق للطباعة والنشر، د. ت.
13. شرح المراح في التصريف، بدر الدين العيني، تحقيق : عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2007.
14. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرو اني، تحقيق : محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، 1981.
15. قواعد اللغة العربية، مبارك مبارك، دار الكتاب العالمي، ط2، بيروت، 1998.
16. كتاب الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : فخر الدين قباوة، مؤسسة الهالة، بيروت، 1985.
17. الكتاب، سيبويه، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، 1991.
18. كشف النقاب عن مخدرات ملحة الإعراب، الفاكهي، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، مكتبة الإرشاد، ط1، 2009.
19. ما بين المعجم والدلالة، الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010.
20. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق : محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
21. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.
22. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : كاظم المرجان، دار الريشة، 1986.
23. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد خوجة، تونس، 1966.
24. المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، دار النور للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.
25. النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، بيروت، د. ت.
26. النحو العربي، أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، محمد عبادة، مكتبة الآداب، ط1، 2009.
27. النقد العربي، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت، 2000.